المحاضرة الاولى

اللغة: المفهوم

تتعدد المفاهيم التي طرحها علماء اللغة حول اللغة كمفهوم، لكن تعدد المفاهيم التي طرحت لم يدخل دائرة التناقض، بل أكمل بعضه بعضا، وكل بعد أضاف إلى المفهوم ، ليشمل بنيانه المعرفي، وتصبح رؤيته أشد وضوحا وفي الوقت ذاته، أكثر تحديدا.

لقد فرق العلماء اللغويون بين مفهوم اللغة و مفهوم اللسان، فاللغة مجموعة من الإجراءات الفسيولوجية والسيكولوجية التي تمكن الإنسان من الكلام، أما اللسان فهو استعمال تلك الإجراءات بصورة عملية، وقد فرق علماء اللغة بين ما تتحرك به شفاء الناس من "قول" ، وبين الكلام الذي اشترطوا فيه استقلال اللفظ وافادة المعنى، وبذلك ليس كل قول كلاما (1). فاللغة علامات وأصوات ذات دلالات

واللغة – كما يذهب إلى ذلك د. عثمان أمين (2) – وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر سواء كان داخلية، أو خارجية، وهي استعمال وظيفة التعبير اللنلى عن الفكر في حالة معينة، واللغة أيضا هي كل نظام من العلاقات الدالة يمكن أن يستخدم وسيلة اتصال، ثم هي القدرة على اختراع العلاقات الدالة، أو استعمالها قصدا أو عمدا. ومن هنا يمكن القول بأن ظهور اللغة عند الانسان إنما يمثل فجر الحضارة الإنسانية. فالإنسان لم يصبح سيد العالم إلا لأنه قد استطاع أن يقيم بينه وبين العالم شبكة من الكلمات هي بمثابة وسائط، فاللغة هي التي مكنت الإنسان من تحديد الأشياء وتوضيح الأفكار التي تخالجه عن تلك الأشياء. والمعنى الاشتقاقى للغة هو أنها تلك التي كل ما يتعلق باللسان الإنساني، وهي التي تحمل معنى، أو كل شيء له معنى مفيد، أو كل شيء ينقل المعنى من عقل انسانى لآخر وقد اعتاد الناس إطلاق مصطلح : لغة به ليسدلوا به على معنى الملفوظ المسموع والمرئي المكتوبة، ولا يتعدى معنى اللغة عندهم الحدين المذكورين، وانتشر هذا المفهوم القاصر، بين العام والخاص من دون تدبر . ويعزز القصور الجزئي لمفهوم اللغة أمران أحدهما كثرة

الاستعمال، للشكلين المتقدمين (الملفوظ والخطوط)، والثانى شيوع إطلاقه على هذين الشكلين. ولعل هذا الطرح هو الذي دفع الباحثين اللغويين إلى تأكيد أن تعريفات اللغة يجب ألا تقصرها على الصورة المتكلمة أو المكتوبة فقط، وإنما يجب أن تكون إلى جانب ذلك الإشارات، والأمهات وتعبيرات الوجه والرموز، ومن هنا ذهب أحد الباحثين إلى تبني الدعوة إلى أن الإشارة نظام لغوى وأن لغة الإشارة – بكافة أشكالها وأنواعها – ترسم خطوط لغة عالمية مستقبلية يتحول إثرها العالم إلى قرية واحدة لا مدينة متسعة ويدلل صاحب هذا التوجه على صحة ما ذهب اليه بعدة اعتبارات

1- اعتمادها على الطبيعة والنظرية: وهما صفتان يتصف بهما الإنسان أي إنسان، مهما تباعد لونه، واختلف جنسه، لأن التجربة الإنسانية واحدة ،والشعور تجاه المؤثرات واحد

2-استنادها إلى المحسوس، وفيه تمشت مع تطور الفكر الإنساني، وقد دلت التجارب على أن إدراك الإنسان للمحسوس اسبق وأأكد من إدراكه للعقل والفكري.

3- قيام لغة الإشارة على علامات ورموز متحدة واحدة، لاستنادها إلى المحسوس، وصدورها عن أحاسيس إنسانية مشتركة، وهي بالتالي تكتسب صفة السهولة، وبذلك هيأت الأرضية الصلبة لتتبوأ مرتبة العالمية -إيماءات الاتصالات الأساسية هي عينها في مختلف أنحاء العالم ومنها هز الرأس إشارة إلى القبول أو الرفض، ومنها إشارات الصم البكم.

4- الإشارات وسيلة التواصل الوحيدة الناجحة بين فئة اختلفت أجناسهم وتباينت ألسنتهم.ويعقب د. كشاص عليها بصحة مذهبه هذا قائلا: بات من الراجح القول إن الإشارة لغة، شأن المحكي، والمكتوب، وتفضلها بسمتها العالمية، وسبقها التاريخي وعلة الأمر طبيعتها، ومجاراتها التطور الإنسان وتماشيها مع قدرته العقلية..فالإشارة لغة العالم في المستقبل، وما انتشار الإشارات وتداولها بين العام والخاص، والقدرة على قراتها ، الاستجابة لها إلا الدليل على امتدادها والتمهيد لتكون لغة الناس في المستقبل، وعلينا التنبه

إلى الحركات والإشارات التي تصدر عنها لأنها تعبر بعفوية عن أغراض – أحيانا – نحاول إخفاءها ، والالتفات إلى حركات ووضعيات الآخرين لتفهمهم بكيفية أفضل ويتضح من هذا الاستعراض المفاهيم المختلفة التي طرحت اللغة أن هذه المفاهيم مع تعددها و اختلاف مصادرها ، إنما تصب في النهاية في اتجاه التكامل بين المفاهيم، وتنحو نحو التحديد و التوسع في آن واحد، فتحديد المصطلح لا يعنى انغلاقه، بقدر ما ينحو نحو التوسع في استخدامه ودلالاته وهذه استجابة لطبيعية للغتنا العربية، إذ هي قوام إنسانيتنا وأكبر وسيلة نحقق بها شخصياتنا المفردة والجماعية على السواء.وهي – كما يقول د. عبد الحميد يونس 5- الفكر بأوسع معانيه، شيء واحد، بهما أصبح الإنسان إنسانا، والمرء مهما جهد لا يستطيع التفكير المجرد عن اللغة، أو بمعنى آخر، أن المرء يفكر باللغة، ولا يمكن أن تفصل الفكر عن اللغة بحال من الأحوال

مراجع المحاضرة :

1- ماريو باي ،ترجمة احمد مختار عمر ، اسس علم اللغة ، عالم الكتب ،ط3، القاهرة ،1983 ،ص35
2- عثمان أيمن ، فن اللغة والفكر، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ،ص 38-39